التقدير عن حجر منفصل من حجر آخر فالحجر الأخير صفة الأول
وأشرت بقولي مشدود عليها إلى ربما قيل بدل الاشتمال
لا يخلو عن ضمير المبدل منه ولا ضمير هنا فلا يصح البدل ووجه
الرد أن الضمير هنا مقدر وبقولي بدل إلى آخره إلى رد ما قيل
أيضا تعلق حرفي جر متحدي المعنى بعامل واحد ممنوع،
ووجه رده أن هذين الحرفين في حكم حرف واحد،
لأن المبدل في نية الطرح كما هو مقرر ومعناه في محله
عن بطنه بحجر استشكل ما في الصحيحين أنه صلى الله
عليه وسلم قال لا تواصلوا قالوا إنك تواصل قال
لست كأحدكم إني أطعم وأسقى وفي رواية يطعمني ربي
ويسقيني وبهذا تمسك ابن حبان في حكمه ببطلان
الأحاديث الواردة بأنه صلى الله عليه وسلم كان يجوع ويشد
الحجر على بطنه من الجوع قال وإنما معناها الحجز
بالزاي وهو طرف الإزار وما يغني الحجر من الجوع وأجاب
بأن هذا خاص بالمواصلة فكان إذا واصل يعطى قوة الطاعم
والشارب أو يطعم ويسقى حقيقة على الخلاف في ذلك
وأما في غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك فوجب
الجمع بين الأحاديث بحمل الأحاديث الناصة على الجوع
على غير حالة المواصلة، وروى ابن أبي الدنيا أصاب النبي
صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه
ثم قال ألا رب نفس طاعمة في الدنيا جائعة عارية
يوم القيامة، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ألا رب
مهين لنفسه وهو لها مكرم، وفي الصحيح عن جابر أنا يوم

الخندق

الخندق نحفر فعرضت كدية وهي بضم فمهملة فتحتية
قطعة صلبة فجاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
أهذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب
بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ
صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل
أو أهيم أي وهما بمعنى زاد أحمد والنسائي بإسناد حسن
أن تلك الصخرة لا تعمل فيها المعاول ونزل صلى الله عليه وسلم
قال بسم الله وضربها ضربة فكسر ثلثها فقال الله أكبر
أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر
الساعة، ثم ضرب فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت
مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصور المدائن البيض
ثم ضرب الثالثة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن
والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة، وبما
تقرر علم أن الصواب صحة الأحاديث وأنه صلى الله
عليه وسلم شد الحجر بالرباط حقيقة وإنما لم يفعل ذلك
إلا ليعلم أصحابه بأنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم
كما زعمه بعضهم بل فعله لذلك ولما يحصل به من
ألم الجوع اختيارا للثواب ومن حكم شد الحجر أنه يسكن
بعض ألم الجوع لأن حرارة المعدة الغريزية ما دامت
المعدة مشغولة بالطعام فتلك الحرارة به فإذا نفد
اشتغلت برطوبات الجسم وجواهره فيحصل التألم
حينئذ ويزداد ما لم يضم على المعدة الأحشاء والجلد فإن نارها
حينئذ تخمد بعض الخمود فيقل الألم وقيل حكمة ذلك أن البطن